العددِ ١ 21A حزيران ٢٠٢٦
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A1 Jun2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

العقل في فكر القديس اوغسطين وديكارت (دراسة مقارنة)

م.م نسرين خضير عباس عبدالجبار
/جامعة واسط/ كلية الآداب

الخلاصة:
يدور البحث عن اكثر المفاهيم الرئيسة في الفلسفة واللاهوت وقد شغل بال الكثير من الفلاسفة عبر العصور ، منذ العصور اليونانية القديمة والى يومنا هذا ، فالعقل هو اداة الفلسفة الاولى مهمته تبرير الحقائق سواء كانت دينية او سياسية او اجتماعية ،ولاسيما في بحثنا هذا يتناول مفهوم العقل في العصور الوسطى المبكرة (القديس اوغسطين) ، وفي العصر الحديث (ديكارت) ، على الرغم من ان كلاهما اعتبرا العقل اداة لفهم العالم ، الا ان الاول وضع الايمان في المرتبة الاولى ،بينما اعتبر الاخير العقل هو الاساس الذي يبنى عليه المعرفة.

الكلمات المفتاحية : (العقل ، الايمان ، القديس اوغسطين ، ديكارت).

Reason in the Thought of Saint Augustine and Descartes
(A Comparative Study)

By Nisreen Khudair Abbas Abd aljabbar / University of wasit , College of Arts. NisreenK147@uowasit.edu.iq.

Abstract:
This research explores one of the most fundamental concepts in philosophy and theology , a concept that has preoccupied many philosophers throughout the ages , from ancient Greece ti the present day. Reason is the primary tool of philosophy , tasked with justifying truths , whether religious , political , or social. This research specifically examines the concept of reason in the early Middle Ages (Saint Augustine) and in the modern era (Descartes) . Although both considered reason a tool for understanding the world , the former placed faith first , while the latter considered reason the foundation upon which knowledge is built. Keyword: (Reason , Faith , Saint Augustine, Descartes).

المقدمة :
تُعدّ دراسة مفهوم العقل من القضايا الفلسفية المحورية التي شغلت الفلاسفة على مر العصور، لما لها من تأثير عميق في فهم الذات الإنسانية، طبيعة المعرفة، وعلاقة الإنسان بالوجود، يتناول هذا البحث دراسة مقارنة لمفهوم العقل في فكر اثنين من أبرز الفلاسفة الذين تركوا بصمة واضحة في تاريخ الفلسفة الغربية: القديس أوغسطين ورينيه ديكارت، يمثل أوغسطين الفكر الفلسفي المسيحي في العصور الوسطى، حيث يرى العقل مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالإيمان والإشراق الإلهي، مؤكدًا على دور العقل في فهم الحقائق الروحية والوصول إلى الله. بينما يمثل ديكارت، رائد الفلسفة الحديثة، نقطة تحول جذرية في مفهوم العقل، حيث جعله جوهر الوجود الإنساني ومصدر اليقين، من خلال مقولته الشهيرة "أنا أفكر، إذن أنا موجود"، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أوجه التشابه والاختلاف بين رؤيتي الفيلسوفين للعقل، مع التركيز على السياقات الفلسفية والدينية التي شكلت أفكارهما، وكيف أثرت هذه المفاهيم في مسار الفلسفة اللاحق، سيتم استكشاف العلاقة بين العقل والجسد، دور الشك واليقين، ومكانة العقل في عملية اكتساب المعرفة عند كل منهما، لتقديم فهم شامل لتطور هذا المفهوم الحيوي .

العقل عند القديس اوغسطين
إن للقديس أوغسطين تفسير عقلي للألوهية فيخبرنا أوغسطين أنه يعتبر الله مركز ومحور حياته، بحيث أن من ينكر وجود الله هو فقط ينكر ذلك من أجل تلبية شهواته، وهؤلاء هم أقلية فقط، لأن وجود الله أمر بديهي للغاية، ففكرة وجود الله تبدو واضحة جدا لأن من ينظر إلى المخلوقات في هذا العالم يعلم بأن الله موجود، لأن هذا العالم الصامت إذا سألته من خالقه يجيبك بصمت أن الله خالقه، وفي هذا نجده يقول:" تنظر إلى الأرض وما فيها من قوة وجمال،

وكأنك تساءلها، ولما كان من الممتنع أن تكون حاصلة على هذه القوة بذاتها، فإنك تدرك حالا أنه لا يمكن أن توجد بقوتها الذاتية[١] (كرم،٢٠١٢،ص٢٩).(

المطلب الاول:

اولاً: تأثر القديس اوغسطين بالمسيحية والافلاطونية المحدثة:-

فإن القديس أوغسطين قد وصلت إليه كليا أو مقتطفات من بعض الكتب التي قام بترجمتها (فيكتور رينوس)، كما أن أوغسطين قد اطلع على العديد من الكتب لفورفوريوس ولكن ما قد قرأه أوغسطين بإمعان وتدقيق هو كتاب التاسوعات لأفلوطين، كون أوغسطين معجبا ومتأثرا جدا بأفلوطين، وقد تعرف على فلسفة اليونان خاصة ما وجده في فلسفة أفلوطين من تعاليم مشابهة جدا للتعاليم المسيحية والتي قادته إلى التعرف على المسيحية التي تهرب منها لفترة من الوقت [٢] (فاطنة ، ٢٠١٧، ص١٣)

لهذا نجد بأن في كتاب الاعترافات لأوغسطين إشارات لكتاب التاسوعات " كان إعجاب القديس أوغسطين بأفلوطين فائقا، خلابا في البدء خاصة [٣](زيعور، ١٩٨٣،ص١٠٦) ، وبهذا نجد بأن أوغسطين قد تأثر بالتعاليم الأفلاطونية المحدثة .

التي جاء بها أفلوطين خاصة وأن أفكار أفلوطين جدا مقاربة لأفكار وتعاليم المسيحية وبهذا فإن أوغسطين استطاع حل العديد من المشاكل التي كانت تواجهه خاصة المشكلات العقلية " ولقي فيها إشباعا لنزعته العقلية التي كانت تنشد اليقين وتلتمس الوضوح، وتبغي المعرفة [٤](ابراهيم، ١٩٩٤، ص١١)

وهي أي الأفلاطونية المحدثة لها نفس التعاليم تقريبا مع الدين المسيحي، ولهذا يقصد بها " محاولة لوضع فلسفة دينية أو دين متفلسف، وهذا ما نقصد به أن الأفلاطونية المحدثة ساعدت أوغسطين على تفسير المسيحية بصورة عقلية، ولهذا بقي متمسكا بارتيادها بحيث حاول إثبات بأنها متناسقة مع المسيحية "لم ينفك (ق.أ) من استغلالها، وارتيادها، والتعمق فيها، وتقليبها مبينا في ذلك كله أنها، في جوهرها، قابلة لأن تتناسق وتنسجم مع المسيحية [٥](كرم ، ١٩٩٨،ص٢٨٥).(

ثانياً: مسألة العلاقة بين العقل والايمان:

غاية العقل الوصول الى اليقين وهي بعينها الغاية التي يسعى اليها النقل فالهدف مشترك بين كل من الفلسفة والدين لكن الاختلاف يبدأ من نقطة الانطلاق فالدين يبدأ من حيث تنتهي الفلسفة والفلسفة تبدأ من حيث ينتهي الدين ، فالفلسفة تبدأ سعيها خطوة بخطوة نحو الحقيقة ، بينما الدين يبدأ بتقديم هذه الحقيقة كلها دفعة واحدة للانسان ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التعقل ، اي تعقل هذا الدين[٦] (عويضة،١٩٩٣،ص١٥)، فقد اراد اوغسطين ان يقدم رؤية متكاملة لا تقوم ع الصراع بين الفلسفة والدين بل على العكس من ذلك .يرى القديس اوغسطين ان الانسان لا يستطيع بلوغ الحقيقة الكاملة اعتمادا على العقل وحده ، لان العقل البشري محدود بطبيعته ، اهتم كثيرا بدراسة وبحب الفلسفة خاصة بعد اطلاعه على كتاب "هورطانسيوس" لشيشرون وتعلق بحب الإطلاع على كتب شيشرون خاصة في مجال السياسة وهذا الكتاب قرأه وهو صغير أي في الثامنة عشرة من عمره وقبل أن يُفقد هذا الكتاب [٧] (فاطنة ، المصدر السابق، ص٢٤) ولذا "فإننا نخطئ خطأ جسيما إذا نحن اعتقدنا أن في مقدورنا تقويم فلسفة أوغسطين تقويما علميا بمعزل عن تفكيره اللاهوتي، ذلك أن تفكيره ما يفتأ منصبا على ما هو عيني إذ هو دائما تعبير عن تجربته الخاصة، وقد كانت هذه التجربة تخوله إلى المسيحية في نظره هي الفلسفة الحقة[٨](كامل ، د.ت ، ص٨٨)

ومنه يستطيع العقل بقوته الطبيعية أن يهتدي إلى الحقيقة بأكملها وان يتحرر من الأمور التي تضله والفلسفة بدورها ليس لديها القوة أن تحول النفس من المعرفة إلى العمل الفاضل مثل عمل الخير والعدل، فالفلسفة بدون الدين المسيحي قاصرة، كون الدين المسيحي هو دين الحكمة والعدل وهو يقدم لنا حياة سعيدة وصالحة، في ظل وجود الإيمان بالله والتمسك بالمسيحية، وذلك من أجل السعادة واكتساب الحكمة والعيش في النعم من خلال ما تقدمه لنا الأسرار المقدسة ولذا علينا بالإيمان والعمل به[٩] (فاطنة ، المصدر السابق ، ص ٢٥) .

"فليس الإيمان عاطفة غامضة وتصديقا عاطلا من ن الأسباب العقلية، ولكنه قبول عقلي الحقائق. إن لم تكن مدركة في ذاتها كالحقائق العلمية، وهي مؤيدة بشهادة شهود جديرين بالتصديق، هم الرسل والشهداء، وبعلامات خارقة هي المعجزات ليس ينفر الإيمان من نقد العقل مادام الإيمان لا يوجد إلا في العقل [١٠] (كرم ، ٢٠١٢، ص٣٠)

المطلب الثاني

اولاً: العقل كأداة للوصول إلى الحقيقة الإلهية عبر التأمل الداخلي:

يتخذ أوغسطين من الحقيقة الركيزة الأولى لتجاوز نفسه ومعرفة الله، حيث يقول بوجود حقائق أبدية، تنقسم إلى أربع حقائق كبرى، هي الحق سابق الرياضية، الأخلاقية، المنطقية والميتافيزيقية، وهي كلها تتميز بالضرورة، الأزلية والثبات، حيث تفرض نفسها على كل العقول لأنها ضرورية وليست ذاتية ولا نسبية، كما أنها مستقلة عن الأشياء والمعطيات الحسية الخارجية وهي مطلقة الصدق حيث يقول بخصوص الحقيقة الرياضية: إن العلاقة بين ١ و٢ حقيقية، بقدر ما هي حقيقية العلاقة من ٢ إلى ٤ وهذه العلاقة لم تكن الأمس أكثر صحة من اليوم، ولن تكون في الغد أكثر صحة من اليوم ولو حتى بعد عام، وهذه العلاقة ستبقى صحيحة وموجودة ولو انتف العالم لأنها دائما نفسها، كما أن أصل الأعداد ليس تجريبيا، لأن الأشياء المحسوسة متغيرة دوما بينما الأعداد خالدة أزلية لا متناهية، كما أن قوانين الجمع والطرح والقسمة لا تدرك بالحواس، وحتى الأعداد ذاتها لا من الأشياء الحسية، فأوغسطين لا يقول بالتجريد مثل أرسطو، ولكنه يرى أن كل عدد نستمدها يأخذ اسمه من عدد الوحدات فإذا كان هناك وحدتان مثلا، نسميهما، اثنين وإذا كان هناك ثلاث وحدات نسميها ثلاثة، وهكذا مع جميع الأعداد بدون استثناء، فكل عدد يستمد اسمه من عدد المرات التي تتكرر فيها الوحدة ثم ينبه أوغسطين إلى أن مفهوم الوحدة مفهوم عقلي، وليس حسيا ذلك أن الحواس تدرك الجسم على أنه كثرة وليس وحدة لأن الجسم يملك أجزاء لا نهاية لها فهو يقبل القسمة إلى مالا نهاية، "والإنسان ما كان ليستطيع أن يحصي في الجسم كثرة من الأجزاء لو كان يجهل الوحدة"، وهكذا يستنتج أوغسطين بأن معرفة الأعداد ليست حسية لأننا لم نعرف الوحدة ع من طريق الحواس[١١](القروني ، ٢٠٠٦،ص٥٣)

ثانياً: العقل والنفس اتحادهما في البحث عن الله:

نجد بأن الله عند القديس أوغسطين هو محور حياته و أن كل ما هو موجود من مخلوقات في الأرض يدل على وجود خالق و قوة عظمى لا يمكن إنكارها لأنها واضحة إلا من أجل دوافع من الأهواء ، وإن الله موضوع سعادتنا فوق الأرض ولذلك لابد من الاعتراف بوجوده لأن هذا يعني أن الله مصدر المعارف والحقائق وأصلها ، ومن يريد أن يصل إلى هذه المعارف حقيقة وخاصة معرفة الله عليه أن يؤمن كي يصل إلى حل أي مشكلة حول المعارف والحقائق، كون تجربته الخاصة قد أدت به إلى الوصول لمعرفة الله وليست معرفة الله من خلال براهين عقلية ، لا بل عن طريق شعور إيماني خفي قد قادته نحوى معرفة الله [١٢](فاطنة،المصدر السابق،ص٢٦)

"فاللاهوت قائم بالفعل على الوحي وعلى الإلهام والحقيقة الكاملة لا يمكن التوصل إليها في تركيبها النهائي أي في اللاهوت المقدس[١٣] (الخضيري، ١٩٨٣، ص١٤٨)

ومن هنا نجد بأن العالم اللاهوتي يجب أن يكون عالما بالنقل أو الإيمان، ولذلك فإن أوغسطين انتقل إلى الإيمان بالحقيقة عن طريق المذهب المسيحي فابتعد عن الطريق الفلسفي البحث الذي يمنع بدوره الإيمان عن الوصول إلى فلسفة متدينة أو علم اللاهوت في المسيحية وتحاول معرفة الصلة بين العقل والنقل عند القديس أوغسطين[١٤](فاطنة،المصدر السابق،٢٨)

وقد صادف أوغسطين مشكلة أخرى تعلقت بمسألة تداخل العقل والإيمان أو العقل والسلطة التي تعني الكتاب المقدس، وبهذا فإن هذه المشكلة قد صادفت كل من فلاسفة المسلمين والمسيحيين وغيرهم، وقد كانت مشكلة طالت العصر الوسيط، ولذا فإن العقل وحده لا يكفي للوصول إلى الحقائق، وبالتالي،" فالإيمان ضروري للتعقل كما أن التعقل ضروري للإيمان. لم يرضى أوغسطين عن منهج المانويين في الوصول إلى الكتب المقدسة عن طريق المعرفة العقلية المحضة وأراد الوصول إلى فهم ما يعلم عن طريق الإيمان بالكتب المقدسة[١٥] (فاطنة،المصدر السابق،ص٢٨) .

ولذلك فإن أوغسطين حاول أن يوازي بين العقل والاعتقاد بحيث العقل هو الذي يضبط تصرفات الإنسان ويبين قيمة الحقائق الإيمانية من ناحية الاعتقاد بها واجب أم عدم الوجوب، ولذلك فإن علاقة الإيمان بالعقل عند أوغسطين علاقة تبادل أي أسبقية الإيمان على العقل ثم العقل على الإيمان لأن كليهما لا يتم مهمته بدون الأخر[١٦] (حنفي،١٩٨٧،ص١٣-١٤)

وإذا أحببنا الوصول للسعادة والحكمة علينا اعتناق الدين والإيمان به، وبالتالي الحصول على السعادة لأن الإيمان هو تقبل العقل الحقائق منطقية وسليمة، لأنها صادرة عن سلطة أعلى من العقل وهي صادرة عن مصدر موثوق منه ألا وهو الله. كما أن الإيمان ينبع صدقه من خلال شهوده الرسل ومعجزاتهم ، ولذا فالإيمان ليس معارضا العمل العقل ، بل إن حقائق الإيمان التي جاء بما لا تدرك إلا من خلال العقل الذي يبسط للناس فهمها ، بحيث ينزع عنها ذلك الغموض الذي يشوبها مثلها مثل الحقائق العلمية التي تدرك بالقبول العقلي إذا كانت غير مفهومة ، وإن الإيمان لا

يعارض نقد العقل لأن الإيمان من نقد العقل ، ولا يوجد إلا فيه ، وبالتالي للعقل أسبقية على الإيمان من ناحية تسمى بالإيثاق ، والتي تعني أن نتأكد وندرس تلك العلامات والشهادات ، وبالتالي التأكد منها ومن صحتها ومن أن العقل يكفي المعرفة اليقينية ، بحيث يستطيع الوصول إليها ، فالبحث والتفحص الدقيق مهمة العقل إذا سبق حول اليقين يتقدم على تفحص الوحي والمعجزات أي "تعقل كي تؤمن [١٧] (كرم،٢٠١٤،ص٣٠)

العقل عند ديكارت

يُعد رينيه ديكارت (René Descartes) أحد أبرز الفلاسفة الذين أحدثوا تحولاً جذرياً في مسار الفلسفة الغربية، لا سيما في العصر الحديث الذي تميز بتعدد التيارات الفكرية والفلسفية. لقد كانت فلسفته بمثابة ثورة على كل ما هو موروث وعقيم، حيث قدم منهجاً جديداً للإبداع الفلسفي، ورؤية مبتكرة لنظرية المعرفة. قامت فلسفة ديكارت على مبدأ الشك المنهجي للوصول إلى اليقين، وأسست لميتافيزيقا جديدة ترتكز على وجود الله، والنفس، والعالم الخارجي[١٨](الهام، ٢٠١٩،ص١١).

المطلب الاول:

اولاً: مصادر المعرفة عند ديكارت: الحدس والاستنباط:

يُعد العقل عند ديكارت المصدر الأساسي للمعرفة اليقينية، وقد حدد ديكارت آليتين رئيسيتين يعتمد عليهما العقل في تحصيل هذه المعرفة[١٩] (محمد،١٩٨٤،ص٣٨) : الحدس والاستنباط:

١-الحدس(Intuition):

يعتبر الحدس ذا أهمية بالغة في فلسفة ديكارت، ويمكن تعريفه بأنه "التصور الذي ينشئه الفكر الخالص المنتبه إنشاءً على قدر من اليسر والتميز لا يبقى معه مجال للشك فيما نحن نفهمه" بعبارة أخرى، هو رؤية عقلية مباشرة، تتولد عن "نور العقل وحده"، تتيح لنا إدراك الأفكار والمعاني بوضوح وتميز. من خلال الحدس، يدرك الإنسان حقيقة وجوده ككائن مفكر، وهي حقيقة لا تقبل الشك وقد أطلق ديكارت على هذا الحدس اسم "النور الطبيعي او الغريزة العقلية[٢٠](الغزالي،١٩٦٧، ص٦٦)

٢-الاستنباط Deduction

أما الاستنباط، فهو العملية العقلية التي تلي الحدس، ويُعرف بأنه "العملية العقلية التي نستنتج بها قضية أو عدة قضايا من قضايا معينة وضعناها" بمعنى آخر، هو استنتاج منطقي للنتائج المترتبة على قضايا معينة تم إدراكها بالحدس. فبعد أن نستخدم الحدس لإدراك المبادئ الأولى للفلسفة والعلم، ننتقل إلى عملية الاستنباط لتكوين القضايا الأولى التي تنتج عن هذه المبادئ[٢١](ديكارت، ١٩٨٨،ص١٤)

يشكل الحدس والاستنباط معاً المرحلتين الأساسيتين اللتين يجب اتباعهما للوصول إلى المعرفة الحقيقية واليقينية، شريطة أن يتم استخدامهما بطريقة صحيحة وقد استمد ديكارت منهجه من الرياضيات، التي تتميز مبادئها بالوضوح والبساطة والصدق، وهي خصائص تنفرد بها الرياضيات عن العلوم الأخرى، فضلاً عن الحقائق الثابتة والنتائج الباهرة التي تحققها لقد أراد ديكارت أن يقيم فلسفة يقينية كاملة على غرار الرياضيات، وأن يعمم مبادئها على جميع العلوم[٢٢](الخشت،١٩٩٨،ص٢٥)

إن ضرورة الحدس كمصدر أول للمعرفة تنبع من كونه يتصف بالوضوح والجلاء الذي لا يمكن للحواس أن توفره. فالمعرفة الحسية، على عكس الحدس، لا ترقى إلى مرتبة الوضوح والجلاء المطلوب للمعرفة اليقينية لقد جعل ديكارت من النمط الرياضي، وتحديداً البرهان الهندسي، نموذجاً يُحتذى به في جميع ضروب المعرفة الأخرى، وذلك لما يتميز به من وضوح ويقين هذا ما جعله أحد مؤسسي المدرسة العقلية الحدسية، التي تؤكد على أن العقل قادر على إدراك الحقائق بشكل مباشر وبديهي[٢٣](ابراهيم،٢٠٠١،ص٨٨)

ثانياً: الشك المنهجي ودور العقل:

انطلق ديكارت من الشك كخطوة أولى وأساسية في ممارسته العقلانية، بهدف بناء نسق معرفي صحيح ومحكم لم يكن الشك الديكارتي شكاً مذهبياً يهدف إلى التشكيك من أجل الشك نفسه، بل كان شكاً منهجياً، أي وسيلة للوصول إلى اليقين المطلق، وليس

غاية في حد ذاته هذا ما يميز شك ديكارت عن شك السفسطائيين، فهو شك يهدف إلى التأسيس لا إلى الهدم[٢٤](هويدي،١٩٩٣،ص٥٠)

١- الشك في المعارف الحسية:

بدأ ديكارت بالتشكيك في كل ما تلقاه من آراء ومعارف سابقة، رافضاً التسليم بها دون تمحيص، ومعتبراً أنها قد تكون خاطئة وقد ذهب ديكارت إلى أبعد من ذلك، حيث شك في قدرة الحواس على إعطاء معرفة يقينية. فالحواس، في نظره، خادعة وقد توقعنا في الخطأ. يقدم أمثلة على ذلك مثل انكسار العصا في الماء، أو رؤية الكواكب بحجم صغير، وهي أمثلة توضح كيف أن الحواس قد تخدعنا[٢٥](الشين،١٩٩٨،ص٣٨٦).

يقول ديكارت في هذا الصدد: "كل ما تلقيته حتى الآن على أنه أصدق الأمور وأوثقها قد اكتسبته بالحواس أو عن طريق الحواس. بيد أني اختبرت أحياناً أن هذه الحواس (عنصر_نائب١)خداعة، ومن الحكمة ألا نطمئن أبداً كل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة" هذا الموقف يؤكد على عدم ثقة ديكارت المطلقة في الحواس كمصدر للمعرفة اليقينية، وضرورة تجاوزها للوصول إلى أساس أكثر صلابة[٢٦](بلدي،٢٠٠٤،ص٩٦)

الشك في المعرفة العقلية:(٢-

لم يتوقف شك ديكارت عند المعارف الحسية، بل امتد ليشمل الحقائق العقلية والرياضية التي تبدو بديهية وواضحة. ولتعميم الشك إلى أقصى حد ممكن، افترض ديكارت وجود "شيطان ماكر" أو "إله خادع"، يمكن أن يضللنا حتى في أوضح الأفكار، مثل أن ٢+٣=٥ الغرض من هذه الفرضية هو تعميم الشك ليشمل كل شيء يمكن الشك فيه، وذلك للوصول إلى أساس لا يتزعزع، حقيقة لا يمكن الشك فيها بأي حال من الأحوال. هذه الفرضية، وإن كانت تبدو متطرفة، إلا أنها كانت ضرورية في منهج ديكارت للوصول إلى اليقين المطلق[٢٧](هويدي،١٩٩٣،ص٣٣)

يميز ديكارت تمييزاً جوهرياً بين النفس (العقل) والجسد، معتبراً كل منهما جوهراً مستقلاً بذاته. هذه الثنائية الجوهرية هي أحد أبرز ملامح فلسفته، وقد أثارت الكثير من النقاشات والتفسيرات[٢٨](ابوريان،٢٠١٥،ص٦٠)

النفس (العقل): يرى ديكارت أن ماهية النفس هي الفكر، وهي جوهر غير ممتد، أي أنها لا تشغل حيزاً في المكان النفس هي المبدأ المفكر، وهي المسؤولة عن الوعي، والإدراك، والإرادة، والتخيل، والإحساس. وجود النفس لا يعتمد على وجود الجسد، بل يمكنها أن توجد بمعزل عنه[٢٩](ديكارت،١٩٨٨،ص١٥-١٦)

الجسد: أما الجسد، فماهيته هي الامتداد (الطول والعرض والعمق)، وهو جوهر غير مفكر الجسد يعمل كآلة ميكانيكية، ويخضع لقوانين الفيزياء. وجود الجسد لا يعتمد على وجود النفس، بل يمكنه أن يوجد بمعزل عنها[٣٠](الخشت،١٩٩٨،ص٢٦٠٢٧)

على الرغم من أن النفس والجسد جوهران مختلفان ومستقلان، إلا أن ديكارت يؤكد على أنهما متحدان في الإنسان اتحاداً وثيقاً. يصف ديكارت هذا الاتحاد بأنه ليس مجرد اتحاد ربان بسفينة، بل هو اتحاد أعمق وأوثق، حيث تتأثر النفس بآلام الجسد وتفرح بأفراحه هذا الاتحاد الوثيق يطرح إشكالية التفاعل بين جوهرين مختلفين تماماً في طبيعتهما. ولحل هذه الإشكالية، افترض ديكارت أن مقر هذا التفاعل بين النفس والجسد هو الغدة الصنوبرية في الدماغ وقد تعرض هذا التفسير للكثير من الانتقادات، إلا أنه يظل محاولة من ديكارت لتفسير العلاقة المعقدة بين العقل والمادة.

المطلب الثاني:

اولاً: انا أفكر إذا انا موجود

كان لديكارت أيضا نسخته الخاصة من الدليل اسكولائي آخر على وجود الله، وهو المعروف باسم " الدليل الأنطولوجي " وتنسب في العادة الجدارة لابتكار هذه الحجة إلى اللاهوتي القديس انسلم (١٠٣٣-١١٠٩) ويشير الدليل على النحو التالي:

الله موجود كامل تماما.

الكمال الشامل لابد أن يتضمن الوجود، ولما كانت الأفكار أدنى من الأشياء الموجودة. تذكر ذلك؟

إذن فالله موجود.

ويختلف الدليل الانطولوجي عند ديكارت عن ذلك اختلافا طفيفا ففكرته الواضحة المتميزة عن الله أنه موجود كامل تماما ومن ثم فلا بد أن يكون الله كاملا تماما وهكذا[٣١](روبنسون،٢٠٠١،ص٧١)

و لهذا يقول ديكارت: «إنني قادر أن أتصور بغير أدنى شك كائنا كاملا و جوهر لا متناهيا أزليا ثابتا، مستقلا لديه المعرفة و القدرة الكاملتان الكليتان خلفني و خلق سائر الأشياء[٣٢] (ديكارت،١٩٨٨،ص٥٠) ، و لهذا يؤكد ديكارت على إلزامية وجود مثل هذا الكائن الذي و هي الإنسان هذه الفكرة الحدسية آلا و هو الله تعالى ، فهو منزه من الخداع لأن الخداع نقص ، إذن فلا بد أن يكون الله تعالى صادقا لا متناهيا قادرا على دفع الأفعال مثل أفعال الشيطان الماكر

الخبيث، أي أنه الكامل هو الكائن الموجود فلا و إلا كان هناك نناقض بين معنى الكمال و الوجود، و كان هذا الكائن تبعا لذلك كالنا ناقصا و بالتالي أمكن تصور وجود كائن آخر أعلى منه مرتبة و حائز على صفة الوجود

كما ذكر في التأمل الثالث في إثبات وجود الله أن فكرة التي لنا عن الله فهي لا تأتي منا إذن الله موجود لم يبق إلا فكرة الله حيث يقول: .....وأقصد بلفظ الله جوهرا، لا - متناهيا، أزليا منزها عن التغير، قائما بذاته، محيطا بكل علم، قادرا على كل شيء.. إذن يترتب علينا أن نستنتج، من كل ما سبق، أن الله موجود لأنه، وإن كانت فكرة الجوهر هي في، وكنت أنا جوهرا، فمن اللا ضروري أن يكون لدي فكرة الجوهر اللامتناهي، أنا الوجود المتناهي، لو لم يضعها في جوهر لا متناه حقا[٣٣](ديكارت،١٩٨٨،ص٣٤) ..

ثانياً: ثنائية العقل والجسد

يستنتج ديكارت من مبدئه الذي سبق ذكره (انا افكر اذا اني موجود) ، بأن النفس شيء والجسم شيء اخر، ومن هنا يميز ديكارت بينهما تمييزا واضحا وهو ان كل واحد منهما يؤلف جوهرا مستقلا ومغايرا للاخر ، فالنفس عند ديكارت هي جوهر ماهيتها الفكر، اما الجسم فهو جوهر ماهيته الامتداد ، وبذلك يتخذ الجسم شكلا معينا ووضعا محددا كسائر اجزاء العالم المادي ، وتحكمه قوانين الطبيعة ، التي تحكم العالم المادي ، بحيث اننا اذا توصلنا الى معرفة كل اسرار علم الطبيعة، فأنه يتسنى لنا عند ذلك ، معرفة كل ماهو غامض لنا من الانسان ، من حيث هو جسم [٣٤](فضل الله، ١٩٨٢،ص١١٨-١١٩)، ما يميز العقل هو أنه واعٍ، وليس أن له شكلًا أو يتكون من مادة فيزيائية، على عكس الدماغ، الذي يتمتع بخصائص فيزيائية ويحتل حيزًا، إذْ لا يبدو منطقيًا وصفه بالأوصاف المكانية. باختصار، أجسادنا موجودة بالتأكيد في الفضاء، ولكن عقولنا ليست كذلك، وبعبارة مباشرة: تخصيص الأبعاد والمواقع الخطية للعقل أو لمحتوياته وأنشطته أمرٌ غيرُ مفهوم. ومن اللافت للنظر أن هذا الاختبار المباشر لمادية الشيء قد بقيَ رغم جميع التغييرات الفلسفية منذ ديكارت[٣٥](الخشت،١٩٩٨،ص٣٠)

بدأ ديكارت برصد إشكالية العلاقة بين العقل والجسد من خلال مفهومه حول الثنائيات الوجودية، إذ اعتبر أن العقل هو جوهر غير مادي، مستقل بذاته، يمتلك القدرة على التفكير، والوعي، والإرادة، بينما الجسد هو جوهر مادي ملموس، يتبع قوانين المادة والحركة، وهو موضوع للتغير والتبدل. وأكد ديكارت أن هاتين الذاتين مختلفتان في طبيعتهما، لكنهما يعيشان في تداخل دائم، فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر، رغم استقلاليهما[٣٦] (الهام،٢٠١٩،ص١٨).

وفي محاولة منه لشرح هذه العلاقة المعقدة، اقترح ديكارت فكرة "الغدة الصنوبرية" كمركز للاتصال بين النفس والجسد، مضيفًا أن العقل يتحكم في الجسد عبر شبكة من الأعصاب، وأنه يتأثر أيضًا بما يُحسُّ به الجسد من خلال الحواس. لكنّ هذه النظرة أثارت العديد من التساؤلات والمنشورات الفلسفية، خاصة حول آلية وكيفية التفاعل بين جوهرين مختلفين تمامًا، إذ يظل السؤال الأساسي هو: كيف يمكن لجوهر غير مادي أن يؤثر في جوهر مادي، والعكس بالعكس؟، تعتبر مشكلة التفاعل من الأخطار الكبرى التي شكّلت تحديًا لثنائية ديكارت، حيث يرى العديد من الفلاسفة أن فكرة التفاعل بين العقل غير المادي والجسد المادي تحتاج إلى تفسيرات ميتافيزيقية معقدة، قد تضعف من الأساس العقلي الذي بنيت عليه الفلسفة ديكارتيه. كما أن التساؤل حول تحديد ماهية هذا التفاعل وما إذا كان يمكن تفسيره بشكل علمي أو منطقي يظل معضلة قائمة. من جهة أخرى، اعتمد ديكارت على افتراضات ميتافيزيقية غير قابلة للاختبار التجريبي، الأمر الذي أدّى إلى اتهامات بعدم الواقعية والشك بأن الثنائية تفتقر إلى أساس علمي صارم

تعرض ديكارت لمشكلة أخرى تتعلق بمصدر المعرفة عن النفس والجسد، حيث أَرَّسَ أن بعض الأفكار فطرية ومغروسة في العقل، مثل مفهوم الله والفكرة الرياضية، وهو ما يتناقض مع نظرية الحسية التي تحيل إلى تجارب الخارج، الأمر الذي يعمّق من إشكالية فهم علاقة العقل بالجسد بناءً على ما هو فطري وما هو مكتسب. وأدى هذا التصور إلى مناقشات موسعة حول طبيعة المعرفة وكيفية حصولها، وما إذا كانت الحقيقة تقتصر على المنطوق الداخلي للعقل، أم تتطلب الفحص الحسي والتجربة الخارجية[٣٧](ديكارت ،١٩٨٨،ص٤٤).

المطلب الثالث: العقل عند القديس اوغسطين وديكارت:

رغم الاختلاف الزمني والفكري بين الفيلسوفين لكن تمثل هذه الفقرة جوهر هذه الدراسة وعلاقتها بالفلسفة والعقل " نجد القديس اوغسطين أنه تأثر (ولو بالواسطة) بالأفلاطونيين المسحيين، فلن نعجب إذا وجدنا عنده شيئا من القديس أوغسطين" كما كان يحترم آراء الكنيسة، إذ أنه عندما سمع بإدانة غاليليو التي تقول بدوران الأرض والتي كان ديكارت معجبا بها واحتراما للكنيسة عدل عن رأيه وأخفى مؤلفاته حول الموضوع ونشرت بعد وفاته فقط كما كان لديكارت كتاب أسماه " تأملات في الفلسفة الأولى، وفيها برهان على وجود الله وخلود النفس "[٣٨] (

كرم،٢٠١٤،ص٦٩)، وقبل نشره ا لهذا الكتاب أراد الأخذ بعين الاعتبار رأي أباء الكنيسة هل يقبلون بما أم يرفضون ؟ ثم حاول بعدها تعديله وفقاً لما يتناسب وأصحاب الكنيسة ، أي بما ينال رضاهم وهذا يعني بأن ديكارت مثله مثل القديس أوغسطين يولي أهمية عظمى للدين والألوهية فالله هو مصدر المعرفة كما هو الشأن بالنسبة لأوغسطين وبهذا نجد بأن هناك من مؤرخي الفلسفة من رأي بأن ديكارت تأثر بأوغسطين خاصة في مسألة الكوجيتو فهناك ما سمي بالكوجيتو الأوغسطيني وكذلك الكوجيتو الديكارتي الذي ظهر مع ديكارت والذي ينفي بأنه تأثر بأوغسطين كما ينفي بأنه قد اخذ عنه في عدة مسائل : ولذلك تظهر بين أيدينا مسألة شائكة وجب حلها وذلك من خلال تطرقنا إلى فلسفة ديكارت، أو بالأحرى الكوجيتو الديكارتي والميتافيزيقا كذلك[٣٩](كرم،٢٠١٤،ص٧٠)

فالفلسفة عند ديكارت " تعني دراسة الحكمة، ولسنا نقصد بالحكمة، مجرد الفطنة في الأعمال، بل معرفة بكل ما في وسع الإنسان معرفته وهنا يقصد ديكارت بقوله إن الفلسفة أو الحكمة هي معرفة شاملة لجميع مجالات الإنسان، سواء معرفة الله أو معرفة حياته كالصحة والفن وكلها تنبع من العلل الأولى، وقد قام ديكارت بتقسيم الفلسفة إلى أقسام، الأول وهو الميتافيزيقا، والثاني هو الفيزياء " فالميتافيزيقا[٤٠] (كرم،٢٠١٤،ص٧١)، وهي تشتمل على مبادئ المعرفة التي منها تفسر أهم صفات الله وروحانية نفوسنا، والقسم الثاني وهو العلم الطبيعي..... نفحص عن تركيب العالم على العموم عن طبيعة

هذه الأرض وجميع الأجسام. عن طبيعة الإنسان، ومن هنا نرى بأن ديكارت ينظر للفلسفة على أنها العلم الكلي ومنهجها هو الإستنباط " أي استنباط قضايا جديدة من المبادئ لكي تكون الفلسفة جملة واحدة " ويثور على مبدأ الإستقراء الذي تكون نتائجه غير مضمونة ويقينية، وذلك من خلال وضع أربع قواعد لمنهجه:

"قاعدة البداهة: ألا أسلم بشيئا إلا أن أعلم أنه حق، وبهذا يكون إعلان حرية الفكر وإسقاط كل سلطة.

قاعدة التحليل: أن أقسم كل مشكلة تصادفني ... لحلها على غير وجه غرضها الحدس.

قاعدة التركيب: أن أسير بأفكاري بنظام، فأبدأ بأبسط الموضوعات وأسهلها معرفة.

قاعدة الإحصاء: أن أقوم في كل مسألة بإحصاءات شاملة.. أتحقق أنني لم أغفل شيئا[٤١](عباس،١٩٨٩،ص١٠٦-١٠٩) '

ولذلك فالمنهج عنده يبين قواعد عملية لإقامة علم صحيح ودقيق بإستخدام العقل الذي يولي له أهمية كبيرة ، ولأن هناك تباين في إستخدام العقل نشأ لديه ما يسمى بالشك ، فنجده شك في كل شيء حتى توصل إلى ما توصل إليه أوغسطين كما سبق وأن ذكرنا ، ن، ومنه ، فاديكارت شك في الحواس لأنها تخدع في أغلب الأحيان وهذا كذلك ما توصل إليه أوغسطين كما سبق لنا ذكر ذلك " لانصل إلى حقيقة أصلية عن طريق حواس الجسم وهذا ما رآه أوغسطين حول الحواس وخداعها ونجد هذه الفكرة عند ديكارت كنفس الفكرة عند القديس أوغسطين، ولا زال هناك أفكار أخرى تدل على أن أغلب الأفكار الرئيسية لديكارت مشاعة لما هو وارد عند أوغسطين، فمثلا شك ديكارت في الحواس وهذا ما قد ذكره في كتابه مبادئ الفلسفة بأن " التجربة قد دلتنا على أن الحواس قد خدعتنا في مواطن كثيرة " ومن الحواس انتقل إلى الشك حول موضوع اليقظة والنوع ، فأصبح لديه شك في حياته بين الواقع والخيال ومنه خلط بين اليقظة والنوع هل هي " حلم متصل ، أي لعل اليقظة حلم منسق " ومن ثم انتقل به الشك إلى حد القول في كتابه مبادئ الفلسفة " متى صمم الإنسان على أن يشك في كل شيء لم يعد يجد علامة للتمييز بين الخواطر التي ترد علينا في حال النوم ، وتلك التي ترد علينا في حالة اليقظة " ومن ثم احتدم به الصراع الفكري إلى أن وصل إلى الشك في الاستدلال العقلي ، أي في محال الرياضيات بحيث وجد بأن هناك من يخطئ في موضوعات بسيطة خاصة بالهندسة ولهذا يرى بأن " لعلي أخطئ دائما في الاستدلال[٤٢](ديكارت ، ١٩٦٠،ص٥٤) "

ومن كل هذا يخلص ديكارت في فكره إلى أن الدور الرئيسي للصدق الإلاهي هو بناء علم الأفكار الواضحة ، فالبحث عن اليقين يقتضي وجود الله وهذا ما رآه أوغسطين بدوره وأن كل الأفكار اليقينية ترد إلى العقل البشري ويمكنه الشك فيها وأنه لا يمكن له الشك في حقيقة واحدة ألا وهي مصدر اليقين والمتميز بالوضوح والصواب وهو وجود الله الحق ، فإن معرفة الله تتوقف عليها حقيقة كل علم ويقينه ، وبهذا كله يرى ديكارت هذه الفكرة لكن سبقه إليها القديس أوغسطين بأن الله أصل كل الحقائق " ففيه إذن وبه وحده يمكننا معرفة كل الأشياء إذ هي تجد سندها وأصلها في الله " فمن خلال هذه الحقيقة التي انطلق منها أوغسطين ، وهي أن الله مصدر كل الحقائق بحد بأن ديكارت بدوره يولي الله أهمية كبيرة بأنه . الحقائق الأبدية كما سبق وأن رأينا لدى كل من ديكارت وأوغسطين ونجد كذلك حقيقة أن الكوجيتو الديكارتي مشابه[٤٣](كرم،٢٠١٤،ص٧٤).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث المقارن لمفهوم العقل في فكر القديس أوغسطين ورينيه ديكارت، يتضح لنا أن كلا الفيلسوفين قد قدما إسهامات جوهرية في فهم طبيعة العقل ودوره، وإن اختلفت مطلقاتهما ومنهاجياتهما بشكل كبير. لقد أظهر أوغسطين، من خلال فلسفته اللاهوتية، أن العقل ليس مجرد أداة للمعرفة الحسية، بل هو وسيلة للوصول إلى الحقائق الإلهية والإيمان، مؤكدًا على أن الإيمان يسبق العقل ويوجهه، وأن العقل يضيء طريق الإيمان. كانت رؤيته للعقل متجذرة في السياق الديني، حيث كان العقل البشري صورة للعقل الإلهي، وقدرته على الإدراك والمعرفة مستمدة من الإشراق الإلهي.

على النقيض من ذلك، أحدث ديكارت ثورة في الفكر الفلسفي بوضعه العقل في مركز الوجود الإنساني، وجعله المصدر الوحيد لليقين والمعرفة. لقد أسس ديكارت منهجه على الشك المنهجي، ليصل إلى حقيقة وجود الذات المفكرة (الكوجيتو)، ومنها بنى كل معرفته. فالعقل عند ديكارت هو جوهر التفكير، وهو مستقل عن الجسد، ويمتلك أفكارًا فطرية تمكنه من إدراك الحقائق الواضحة والمتميزة.

تتجلى الفروقات الجوهرية بين الفيلسوفين في نقطة الارتكاز: فأوغسطين ينطلق من الإيمان ليصل إلى العقل، بينما ديكارت ينطلق من الشك العقلي ليصل إلى اليقين. ومع ذلك، يمكن ملاحظة بعض أوجه التشابه في تقديرهما لقوة العقل وقدرته على تجاوز المعرفة الحسية للوصول إلى حقائق أعمق. فكلاهما يرى في العقل أداة للبحث عن الحقيقة، وإن اختلفت طبيعة هذه الحقيقة ومصدرها. لقد مهد فكر أوغسطين الطريق لتأملات ديكارت حول الذات والمعرفة، وإن كان ديكارت قد أخذ هذه التأملات في اتجاه علماني وعقلاني بحت.

يمكن القول إن دراسة مفهوم العقل في فكر أوغسطين وديكارت تقدم لنا رؤية شاملة لتطور الفكر الفلسفي حول هذه القضية المحورية. فبينما يمثل أوغسطين ذروة الفلسفة اللاهوتية التي ربطت العقل بالإيمان، يمثل ديكارت فجر العقلانية الحديثة التي جعلت العقل سيدًا ومصدرًا لكل معرفة. .

قائمة المصادر والمراجع:

١- إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء للدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، ٢٠٠١.
٢-أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال محققه جميل صليبا وآخرون، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٦٧
٣- بن السيلت فاطنة، العقل عند القديس أوغسطين، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر غير منشورة في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، ٢٠١٧
٤-حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مكتبة المجلو المصرية، القاهرة ،١٩٨٧.
٥-ديف روبنسون، أقدم لك ديكارت، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠١.
٦-راوية عبدالمنعم عباس ،ديكارت الفلسفة العقلية،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ، ١٩٨٩
٧-رينيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة وتقديم وتعليق: عثمان أمين، (دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت.)
٨-رينيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، ط٤، ١٩٨٨.
٩-زكريا إبراهيم، إعترافات القديس أوغسطين، مكتبة الأسرة، د.ط، مصر، ١٩٩٤.
١٠-زينب محمود الخضيري، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ١٩٨٣.
١١- عساس إلهام، نظرية المعرفة والأخلاق في الفكر الغربي الحديث رونيه ديكارت" أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة التطبيقية عير منشورة، فلسفة تطبيقية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة، الجزائر،٢٠١٩
١٢-علي زيغور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة المسيحية، دار اقرأ، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
١٣-علي عبد المعطي محمد، تيارات الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ط، ١٩٨٤.

١٤- مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، (دراسة تحليلية ونقدية) ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٢
١٥-فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة ومراجعة: زكي نجيب محمود، دار القلم، د.ط، بيروت، د.ت.
١٦- كامل محمدمحمد عويضة ،الفلسفة المسيحية ،دار الكتب العلمية،ط١، بيروت، ١٩٩٣
١٧-محمد عثمان الخشت، أقنعة ديكارت العقلانية تتساقط، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط،١٩٩٨
١٨-محمد علي ابوريان، تاريخ الفكر الفلسفي،ج٤،الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية،٢٠١٥
١٩- ياقوت القروني، نظرية المعرفة عن القديس اوغسطين، رسالة ماجستير غير منشورة في الفلسفة المسيحية، المدرسة العليا للأستاذة في الادب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠٠٦
نجيب بلدي، نوابغ الفكر الغربي ديكارت، دار المعارف، مصر، ط٢، ٢٠٠٤. ٢٠ -
يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، ١٩٩٣. ٢١ -
٢٢-يوسف حامد الشين، الفلسفة المثالية، قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغايتها، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، د. ب، ط ١ ،١٩٩٨.
٢٣-يوسف كرم،تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم ،ط٣، بيروت ، ١٩٩٤.
٢٤-يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢
٢٥-يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي،٢٠١٤